الأخاء

مجلة علمية تاريخية أدبية روائية مصورة

مصر يوليو (تموز) سنة ١٩٢٦ — ذي الحجة سنة ١٣٤٤

الشاعر الروسي العظيم

اسكندر بوشكين

احتفل الروسيون المقيمون في القاهرة وباريس وبرلين ونيويورك وغيرها من المدن يوم الاحد الموافق ٦ يونيو الماضي بمرور ١٢٧ سنة على ولادة الشاعر الروسي الكبير اسكندر سيرجييفتش بوشكين فرأينا بهذه المناسبة أن نقول كلمة عن هذا الشاعر النابغة الذي رفع شأن الأدب الروسي وقد ترجمت أشعاره الى سائر لغات أوربا الحية

ولد هذا الشاعر في ٢٦ مايو عام ١٧٩٩ من أبوين كريمين فقد كان والده سرجيوس ضابطا في فرقة الحرس الملكي وكانت أمه نادجدا حفيدة خادم بطرس الاكبر العربي ابراهيم هنيبال (١) ولم تعطف والدته على الغلام لأنه كان أقل جمالا من أخيه وأخته ولما بلغ السابعة من عمره عهد والده حسب عادة ذلك الزمان الى مدرسين أجانب ليلقنوه مبادىء العلوم وكان كسولا جداً في أول أمره لا يفتح كتابا ولا يحفظ درسا ولكنه كان ذا ذاكرة وقادة فكان يحفظ الدرس من سماعه من اخته عند ما تلقيه أمام المدرس وكان اكره العلوم وأبغضها اليه الحساب واللغة الالمانية ويظهر ميلا شديداً لتعلم اللغتين الفرنسية والانكليزية . وعند ما بلغ التاسعة من عمره ظهر عنده

(١) كان لدى بطرس الاكبر خادم أسود يدعى ابراهيم وقد أجمع مؤرخو الروس على أنه مصري وبناء عليه فان الشاعر بوشكين مصري من جهة أمه

ميل شديد للمطالعة . فكان يقضي ساعات الفراغ في مكتبة والده المحتوية على عدد كبير من الكتب الفرنسية لمؤلفي القرن السابع عشر والثامن عشر يطالع الدواوين الشعرية والكتب الادبية وحفظ قصائد كثيرة كان ينشدها في المجالس ثم أخذ يقرض أولا الشعر الفرنسي لكنه لم يصادف نجاحا وقوبلت أشعاره الاولى من سامعيها بالهزء والسخرية غير أن هذا لم يفت في عضده ولم يثن عزمه بل واصل العمل بهمة لا تعرف الملل .

بلغ الرسم بوشكين الى الادب الروسي

ولما بلغ الثانية عشرة من عمره دخل مدرسة الليسيه التي انشئت عام ١٨١١ وعدد تلاميذها ٣٠ وفي هذه المدرسة كان موضوع سخرية رفقائه الذين كانوا يسخرون من وجهه الشرقي وشعره الجعد الذي يشبه شعر العبيد غير أن رفقاءه لما رأوا طيبة قلبه واخلاقه الكريمة ومزاياه الحميدة مالوا اليه وعطفوا عليه وأحبوه حباً جماً وكان يقضي أوقات الفراغ بمطالعة الكتب الفرنسية في مكتبة المدرسة العامرة ونظم عدة مقطعات شعرية فرنسية ثم نظم قصيدة روسية تحت عنوان « روسلان وليودميلا » وابتدأت شهرة بوشكين الادبية عام ١٨١٥ . وعام ١٨١٧

أنهى مدرسة الليسيه وأراد بعد ذلك أن يدخل في سلك الجندية فأبى عليه أبوه ذلك فالتحق بوظيفة بوزارة الخارجية في بطرسبرج حيث جعل ينشى منازل الاسر النبيلة وأما كن اللهو حيث كان ينفق المال بدون اكتراث فكان دائما أبداً في حاجة الى المال بحيث أنه ما كان يجد أحيانا في جيبه عدة قروش يتعشى بها وتظم في هذا العهد عدة قصائد سياسية تخاطفتها الايدي وأحدثت ضجة في الدوائر السياسية وبين الجمهور وجعلت له شخصية بارزة وحسبت له الحكومة حسابا كبيراً .فدعاه محافظ العاصمة وهدده تهديداً شديداً ولما اطلع القيصر على قصائده أمر بنفيه الى سيبيريا غير أن كثيرين توسطوا له وخففوا عقاب النفي بنقله الى جهة اخرى حيث اعتلت صحته فاخذ اجازة بالسفر الى القوقاس للمعالجة وحيث نظم عدة قصائد رنانة ثم سافر الى القرم حيث نظم قصيدة عنوانها

اسكندر سيرجيفيتش بوشكين

« انطفأ كوكب النهار » ثم قصيدة أخرى عنوانها « نافورة بغجه سراي » كان يتلذذ بوقع مياهها ليلاً .

ثم تعين موظفا في كيشينيف وهي مدينة سكانها خليط من الفرنسيين والايطاليين واليونان واليهود وتعددت فيها أماكن اللهو والخلاعة فاندفع الشاعر بتيارها الى

ارتياد نوادي اللهو وارتشاف كؤوس الملاذ المترعة وكانت له فيها حوادث جسام دعي بسببها مرتين للمبارزة وحجز في منزله عدة أيام منع فيها عن الخروج ثم نقلوه الى بلدة اسماعيل فسافر اليها مع فريق من النوّر ونظم قصيدة عنوانها « النوّر » ثم نقل الى اوديسا حيث عهد اليه حاكمها مرة أن يقوم على رأس فرقة من الجنود لمطاردة جيوش الجراد التي نزلت بتلك الجهات ولما عاد من هذه المهمة التي عهدت عليه قدم للحاكم تقريراً مضحكاً قال فيه :

طار الجراد ،طار ووقع
مكث مكث والتهم كل شيء
ثم عاد فطار ثانية

ولما وقف الحاكم على هذا التقرير احتدم غيظاً وكتب الى بطرسبرج يطلب نقل بوشكين . وفي هذه الفترة كتب بوشكين خطاباً سياسياً حراً الى صديق له في موسكو وقد ضبط هذا الخطاب في البريد وأحدث ضجة كبرى في موسكو وبلغ امره مسامع القيصر فأمر بفصله من خدمة الحكومة وأرساله الى قرية ميخايلوفسكي فيكون تحت مراقبة الحكومة هناك فسافر اليها تحت الحفظ وجعلوا فيها يراقبونه مراقبة شديدة ولا يسمحون له بإرسال رسالة الا بعد الاطلاع عليها وجعل في هذه القرية يطالع كتب شكسبير واقتبس منها روحه ومراميه وفي عام ١٨٢٥ ألف مأساة « بوريس جودونوف » ذلك البطل الروسي الذي أحيا روسيا القديمة وألف أيضاً روايات عديدة وكتباً مختلفة منها « ليالي مصر » وغيرها . أن الضغط الشديد الذي كانوا يضغطون عليه في القرية أزهق نفس الشاعر وحاول الهرب مراراً للخارج فلم يفلح

وبعد وفاة القيصر اسكندر الاول حدثت ثورة ١٤ دسمبر عام ١٨٢٥ في بطرسبرج فدخل فيها كثيرون من أصدقاء بوشكين فهرب من القرية وعاد الى منزل والديه حيث علم هناك أن الثائرين فشلوا فشلا تاما وقبض على كثيرين منهم فبادر في الحال وأحرق كثيراً من أوراقه التي توقع عليه الشبهة . وأرسل عريضة الى القيصر يطلب فيها التصريح له بالسفر الى موسكو وبطرسبرج للمعالجة فصرح له . ولما بلغ موسكو ذهب توّاً الى قصر الكرملين وحظي بمقابلة القيصر نقولا الاول وخرج

من عنده مسروراً وقد ذاع أمر هذه المقابلة في موسكو كلها . وجعل بعد ذلك يزور مجالس العلماء والكتاب وانتعشت نفسه بهذا ولكنه ما فتىء حتى عادت اليه الاشجان والاحزان لأنه رأى أن حريته محدودة : وفوق هذا فانه لما قابل القيصر قال له : «أني من الآن فصاعداً سأراقب مؤلفاتك بنفسي» ولم يعد يستطيع بعد هذا قراءة أو نشر قصيدة أو رسالة الا بعد اطلاع القيصر عليها . وألف في موسكو عدة كتب أرسلها للقيصر الذي لما طالعها صرح بطبع بعضها وأعادها للشاعر ومنع طبع بعضها الآخر

ثم عهد اليه القيصر وضع رسالة عنوانها « تهذيب الشعب » فامتثل الامر ومع ذلك كانت المراقبة عليه شديدة فما كان يصرح له بالسفر بدون تصريح خاص وأينما حل وسار كان البوليس السري يراقبه مراقبة شديدة حتى سئمت نفسه الحياة وأنشد قائلا :

موهبة لا قيمة لها . موهبة عرضية باطلة

لماذا أعطيت لي هذه الحياة ؟

وفي مارس سنة ١٨٢٩ أتيح له السفر الى القوقاس الى المعسكر الروسي بجوار أرضروم حيث أقام تحت رصاص العدو ثم عاد الى بطرس برج وموسكو وفي ١٨ فبراير عام ١٨٣١ تزوج من ناتاليا نيكولايفنا غونتشاروف وألف في خلال هذه المدة رواية « عربي بطرس الاكبر ابراهيم » والف ايضا رسائل عديدة وفي هذا العام دخل ثانية سلك موظفي الحكومة ونال تصريحاً بالبحث في أوراق الحكومة الرسمية عن مذكرات تاريخ بطرس الاكبر ثم انتظم عضواً في سلك الجامعة الروسية ثم الف رواية « ابنة القبطان » ورواية ديروفسكي . ونظم حكاية السماك والسمكة شعراً . وأغاني السلافيين والفارس الحديدي وهذا الكتاب منعت المراقبة طبعه ونشره . وكتاب نورة يوغاتشيف وقد منحه القيصر مبلغاً من المال لطبع هذا الكتاب كما منحه لقبا علمياً سامياً وقد سبب له هذا اللقب متاعب جمة لما يتطلبه حامله من النفقات التي ابهظت كاهل الشاعر بالديون ولكي يصلح مركزه المالي اصدر مجلة شهرية باسم « سوفر يمينيك » ولكن اعداءه الكثيرين من الكتاب والموظفين حاولوا بكل

ما أوتوا من قوة مما كسته وكانت الخطابات الواردة باسمه لاتسلم الا بعد اطلاع المراقب عليها وقد اثر ذلك في نفس الشاعر تأثيراً مؤلما محزنا الامر الذي يظهر جلياً من اشعاره الاخيرة التي يتخلل سطورها احزان عميقة وآلام نفسية وقد اتخذ من تلك الاحوال دروساً بالغة عن حالة نفسية الناس وما انطوت عليه قلوبهم من الخبث والمكر والرياء وقد وصف ذلك وصفا مسهبا في تآليفه مما كان له الوقع الشديد في نفوس اهل الفضل والكمال . ورجا في تاليفه ان يصطلح الجيل القادم وينظهر من أدران الفساد وشوائب العمران الكاذب المغشى بطلاء البهتان والرياء وقد قال في ذلك ما مؤداه :

لا تحسب حسابا لأحد غير نفسك
وما الوظيفة سوى استعباد للحكومة
وانت لا تحن ذمتك وأفكارك ولا رقبتك
بل كن حراً تتنقل من مكان الى آخر
وتمتع بجمال الطبيعة الفتان
واسجد وانت صامت أمام وحي الضمير الحي
فهناك السعادة ! وهناك الحقوق !...

وكتب الى زوجته رسالة قال فيها : لاتوجد سعادة في هذه الدنيا وانما توجد الراحة المقرونة بالحرية

ان تسميم نفس الشاعر بالفتن والدسائس الدنيئة دعته الى مبارزة البارون دانتيس احد الرعايا الفرنسيين وقد جرح الشاعر جرحا بليغاً وحملوه الى منزله وشاع أمر هذه المبارزة في المدينة فثار كفس الناس وأحاطوا بمنزله وقاموا بمظاهرة عظيمة واضطرت المحافظة الى ارسال قوة من الجنود أحدقت بمنزله ومنعت الناس من دخوله ولما شعر بدنو أجله تناول الاسرار المقدسة وأسلم الروح في ٢٩ يناير عام ١٨٣٧ وقد أحدث موت الشاعر من بد أجنبية اضطراباً شديداً في المدينة ورثاه الشاعر ليرمونتوف برثاة طبع منها ألوفا من النسخ فتخاطفها الناس

والى القارىء الكريم أمثلة من أشعار بوشكين :

الاقاليم الحارة وبذل جميع مجهوداته لتحقيق هذه الفكرة . وقد قوبل مشروعه في القاهرة في بدء أمره بالمقاومة والمعارضة ذلك لأنه لم يخطر ببال أحد بل عدوا من المستحيل ان تكون القاهرة الافريقية مكاناً لاجتماع اساتذة الطب المبرزين في اوربا. ولكنه بداعي نشاطه وهمته تمّ انعقاد المؤتمر الطبي في القاهرة في شهر دسمبر عام ١٩٠٢ واسفر المؤتمر عن نتائج باهرة لم تكن في الحسبان. وقد قدم الدكتور في المؤتمر تقريراً ضافياً أورد فيه أحصاء لتسعمائة وستين عملية جراحية عملها لاشخاص مصابين بالتهاب الكبد الشديد وكان هذا الاحصاء المقرون بالايضاحات والادلة اهم ما سمعه المؤتمرون وفوق هذا وذاك فان الدكتور فورونوف كتب مئات من المقالات الطبية الفنية في مجلات اخصائية كان لها الوقع الشديد في النفوس ونالت استحسان كبار رجال الطب

وفي عام ١٨٩٠ أصدر في باريس كتاباً قيماً اودعه ملحوظات هامة عن أمراض النساء والجراحة دل على ما أوتيه هذا العالم الشاب اذ ذاك من المهارة والمقدرة العلمية وسعة المدارك وأدخل في الجراحة أصولا جديدة لم تكن معروفة من ذي قبل فأفاد الجراحين فوائد جزيلة وأوقفهم على أمور كانوا يقفون أمامها حيارى .

وفي عام ١٨٩٩ أصدر كتاباً آخر مرشداً الى العمليات الجراحية للنساء قوبل بالاعجاب الشديد وقد وضع العلامة الفرنسي الشهير ريكار مقدمة لهذا الكتاب الفريد في بابه قال فيها :

« كُتب هذا الكتاب بعد ابحاث دقيقة وممارسة طويلة وقدم للجراحين للسير على منواله وليهتدوا بهديه وقد أحيا مؤلفه دائرة الجراحة »

ثم أصدر كتاباً آخر عن الجراحة اورد فيه أنباء نحو ثلاثة آلاف عملية جراحية عملها بنفسه في مدينتي القاهرة وباريس

ويقيم الدكتور فورونوف الآن في نيس حيث شاد في ضواحيها «فيلا» (بناء) واسعة يواصل فيها تجاربه العلمية بالحيوانات والقرود وتنحصر طريقته في تبديل الاعضاء الفاسدة في جسم الانسان بأعضاء أخرى مأخوذة من الحيوان وأخذ بعض الخلايا من دم قرد ذكر صغير السن ومزجها بدم الرجل بواسطة التطعيم وهذه الطريقة

تجدد شباب الشيوخ حتى يصبحوا كأنهم ابناء اربعة عشر عاماً وبذلك صدقت حكايات العرب الخرافية التي تروي لها العجائز والحق الذي لامراء فيه ان صاحب الترجمة خدم العلم والانسانية خدمات جليلة وهو لايزال يقول بان تجاربه ستفضي الى نتائج باهرة تدهش العالم ولا سيما رجال الدين الذين ينكرون قوة العلم واستطاعته خرق العادات المألوفة .

الشهامة والوفاء

من التاريخ

يرجع عهد هذه الحادثة الى عهد أوليفير كرومفيل الذي ولد عام ١٥٩٩ وتوفي عام ١٦٥٨ وكان من أنصار الحزب الانكليزي القائل بضم جمهوريات انكلترا وشوتلاندا وايرلاندا وتوحيدها وقام النزاع اذ ذاك بين البرلمان والملك كارلوس الاول وانتهى أخيراً بأن عرض البرلمان تاج انكلترا على كرومفيل فرفضه وآثر أن يبقى في مركزه .

قلنا ان النزاع قام بين الملك والبرلمان الأمر الذي أفضى الى حمل السلاح وقد انكسرت جيوش الملك كارلوس عدة مرات ووقع كثيرون من أنصار الملك في الأسر حيث كانوا يحاكمونهم أمام المحاكم العسكرية التي أنشأها كرومفيل في كل مدينة لمحاكمة العصاة والثائرين .

وكان السير باتريك قاضياً لمحكمة نيوكاسل . وكان كرومفيل يثق به ثقة عمياء ويقدر خدماته الجليلة للبلاد وكانت صحته لا تسمح له بحمل السلاح فاشتغل بالامور السياسية وقد طارت شهرته ليس لأنه من أنصار كرومفيل بل لأنه كان أعدل قاض في تلك الامارة

وحدث ذات ليلة بينما كان السير باتريك يتناول طعام العشاء بين أفراد أسرته وفريق من أصدقائه أن الجنود أحضروا اليه أحد أنصار الملك كارلوس الذي أسروه في ذلك النهار